

## الفصل الرابع والتسعون

### احتفظ بورقة آس في كمّك على الدوام

كلما قلّت حاجة الإنسان، ازداد اقترابه من الألهة.

سقراط

يكمن سرّ تحقيق كل ما تتمنى في عدم تمني أي شيء. لماذا نحصل على ما نتمناه في الوقت الذي لا نريده في الواقع؟ ألم يسبق أن لفت انتباهك أن الرجل أو المرأة التي لا تهتمّ لأمرها إطلاقاً، تتصل بك مراراً وتكراراً؟ لقد قرأتُ كتباً عديدة في هذا الموضوع، حيث نُصحتُ فيها بالتخلّص من أهدافي. ولكن كيف يمكن الأخذ بهذه النصيحة إن كنتُ أرغب في ذلك من كل قلبي؟ إنما لا بد من القول إن هنالك أيضاً الكثير من الكتب التي نصحتني بالنقيض تماماً. إذ عليّ أن أسعى بكل ما أوتيت من قوة إلى تحقيق أمنيّتي، وأن أركّز على هديّ في حصراً. ولا شك في أن الحقيقة، وبالتالي المشكلة، تقع في الوسط. كي تحقّق ما تريده بالضبط، عليك أن تتمناه من كل قلبك من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يجوز لك أن تشعر بالحاجة إليه أو بالرغبة في امتلاكه بالضرورة. وهذه لعمري مهمة ليست سهلة. وخير طريقة للتخلّص من النتيجة هي أن يكون لديك ورقة آس في كمّك. على هذا النحو تستطيع بدايةً أن تركّز ذهنك على إرضاء حاجاتك، وبالتالي تخفّف من عوزك واحتياجك، وترفع من قدرتك على بلوغ ما تتمنى بالتحديد (الفكرة رقم 43). وفي الخطوة التالية عليك أن تحرص على انفتاح ما أمكن من الإمكانيات والخيارات أمامك (الفكرة رقم 95). إن كنتَ تريد الحصول على وظيفة محدّدة حتماً، عليك أن تقدّم طلبات عمل لدى عدة أرباب عمل. إذا أقيمت بالمسؤولية عن

إرضاء حاجاتك على إنسانٍ واحدٍ أو على شخصٍ معينٍ، فقد يأتي يومٌ ينفضُ عنك فيه هذا الأخير (الفكرة رقم 44). عندما تُغرَمُ بامرأةٍ معينةٍ غراماً أبدياً، حَقِّقُ التوازن عن طريق لقاءك مع نساءٍ أخريات أيضاً. طبيعياً أن رغبتك من كل قلبك في هذا العمل أو هذه المرأة قد تستمر، ولكنك لم تعد بحاجة إليها. قد لا يكون هذا عدلاً بالضرورة، ولكن هذه هي الحياة. إذاً، اقبلها كما هي.

لنأخذُ هذا الكتاب مثلاً. أنا أحب مهنتي، ويسرني أن أساعد الآخرين في بلوغ حياةٍ ناجحة. كما أتمنى أن يصيب هذا الكتاب نجاحاً ويلقى رواجاً. أنا على استعداد لاتخاذ كل الإجراءات اللازمة، ولكنني لست بحاجة إلى هذا الكتاب؛ فلو قُيِّضَ له أن يفشل وألا يحقق أيَّ رواج، باستطاعتي دفع أجرة شقتي، فأنا أمتلك شركة مزدهرة ولست بحاجةٍ إلى إشغال فكري بتسديد فواتيري. والكتاب مجرد دخلٍ إضافي. لو كنتُ بحاجةٍ فعلاً إلى هذا الكتاب، لكنتُ قد سعتُ جاهدةً إلى وكيلٍ أو ناشرٍ لتسويقه. باستطاعة الإنسان أن يشتمَّ رائحة اليأس عن بعدٍ شاسع. ولكن الحال لم تكن هكذا، وكنتُ قادرةً على نشر كتابي باسترخاء تام. هكذا عثرتُ على إحدى أفضل الوكيلات في هذا المجال - ومن دون مجهودٍ كبير. وسعتُ وكيّلي بدورها لإيجاد الناشر المناسب، لا بل فكّرتُ في نشر كتابي بنفسي، في حال لم أجد أيَّ ناشر. ومن ناحيةٍ أخرى، لو لم يكن هذا الكتاب مهماً بالنسبة لي فعلاً، لما أنجزته يوماً. إذ يكمن وراء عمل شاق بلا شك. ورغبتني الشديدة في نشره هي التي دفعتني إلى العمل على المخطوط، في الوقت الذي كان جميع أصدقائي ومعارفي يرتعون على الشاطئ. مع ذلك لم أحسَّ أبداً بأنني أضحي بشيء، بل كان العمل عليه متعةً حقيقية.

كانت ماكسيينا تعمل في مجال التسويق، وتعاني من متاعب كبيرة في مهنتها. لم تعد تطيق أن تتصل بزيائن محتملين، وتشهد كيف يقفلون الخطّ قائلين: "يتصل بي يومياً أكثر من عشرين مندوباً، أرجو ألا تزعجيني بعد الآن". ولم يفاجئني عندما أوضحت لي أنها لم تكن سعيدة. كانت تشعر أن عليها في كل مكالمة أن تحدّد موعداً أيضاً. وإذا لم يتحقّق الهدف، شعرتُ بالإحباط والتقصير. إذاً، فقد كان عليها أن تغيّر استهدافها، يجب أن تقتصر في المكالمات من الآن فصاعداً على بناء علاقةٍ شخصية مع الزبائن المحتملين. ليس عليها أن تُقنِع الناس، بل أن تحاول مساعدتهم. ماكسيينا إنسانة اجتماعية ولطيفة المعشر، ومع استهدافها الجديد أصبح عملها يسبّب لها المتعة. وباتت تركّز على التعرف إلى الزبائن وإلى

حاجاتهم، ولم تعد تحاول بيع منتجها بكل ما أوتيت من قوة، وسرعان ما حققت أرقام المبيعات المطلوبة بلا عناء.

عندما يكون الطريق نحو الهدف ممتعاً، يسهُل علينا التحرر من النتيجة. اسأل الآخرين عما يودون تغييره في حياتهم، لو ربحوا مليوناً. قليلون فقط من سيجيبونك أنهم لا يريدون تغيير شيء، لأنهم راضون كلياً عن حياتهم. وهؤلاء تحديداً يعيشون حياة جديرة بأن تُعاش فعلاً. قرأتُ مقالة مؤخراً عن صاحب ملايين يعيش في تواضع مطلق. ليس لديه منزل كبير، ولا يرتدي ملابس فاخرة وغالية الثمن، وقد استغنى عن أي ترف. يحب عمله، ولا يبالي كم يدرّ عليه من المال. كن صادقاً: هل كنت ستحبّ عملك، لو أنك تتقاضى لقاءه مرتباً أقل بكثير، أو لو لم يقترن بوضع خاص؟ نظّم حياتك على نحو لا تضطر معه إلى القيام إلا بما يروق لك ويهيئ لك المتعة - هذا هو النجاح الحقيقي. ابدأ صغيراً، واتّجه شيئاً فشيئاً نحو المجالات الأكثر أهمية.

أيّ مجال من مجالات الحياة تعتزم أن تحقق فيه هدفاً معيناً؟ ما الذي ينقصك كي تكون سعيداً؟ جدّ سُبُلاً أخرى لإرضاء حاجاتك. وما إن تكفّ عن الشعور بالحاجة إلى شيءٍ ما، حتى تحصل عليه في الغالب.

